Al-Milal (July-December 2023)
Vol. 5, No. 2 ISSN: 2663-4392

الواقع الديني التعددي فى الهندوسية: دراسة تحليلية

عبد الملك أبوبكر[1]

The Reality of Religious Diversity in Hinduism: An Analysis

Abdul Malik Aboobackar

Abstract: The notion of Hinduism as a single world religion is an European colonial construction, largely dependent upon the presuppositions of the early Western Orientalists. First part of this research elaborates that the term does not reflect what Indian religions are really representing and fails to demonstrate a great variety that they are naturally divided into. This fact was well elucidated in the classical academic works, like those of Al-beruni and Ash-Shehristani.

The second part discusses the aspirations of modern Hindu reformers to construct one Hinduism as a religion equal or superior, to the popular world religions, pointing out that many attempts which were made by them did not succeed to achieve their goal. The third part dilates upon that the doctrinal schism mainly plays an important chunk to impede unity of Indian religious denominations. The fourth part is extensively involved to highlight some social factors in Indian religious history, pertinent to impossibility of construction of the one religion. The classification of Indian religions as Brahmanism, Saivism, Vaishnavism, Shaktism Advaita Vedanta or others has to be viewed as essential in order to avoid methodological errors in the research works, which may emanate from the concept of one religion.

Keywords: One Religion - Reality of the Diversity - Communal Supremacy - Polytheism - Syncretized Religions - Multiple Religious Participation.

[1] Assistant Professor, Department of Comparative Religion, Faculty of Islamic Studies, International Islamic University Islamabad. a.malik@iiu.edu.pk

تقديم

يرمي هذا البحث إلى مناقشة واقع ديني سائد يناقض نظرية الديانة الواحدة ويهتم به دارسو الديانات الهندية وقضايا مصطلح الهندوسية.وأدخله الأوربيون قواميس لغاتهم جزء من وجهات نظرهم إلى شعوب الهند وقت استعمارهم. ولكنه أخذ تطورا آخر أريد به معنى عام مختلف يخدم مقصدا آخر، هو السعي إلى جمع ديانات هندية متباينة في مظلة فكرية مصطنعة، هي الهندوسيةHinduism.وبذل ويظل يبذل كبار الجهابذة الهندوس جهودا هائلة لإبقائها حية لتغييب واقع تعددي غالب. وتدور خطة هذا البحث حول أربعة مباحث رئيسية:أولها ـ يناقش هذه القضية كما جاءت في أدبيات شهيرة كتبت في الهندوسية قديما وحديثا فضلا عن نقد بناء لمصطلح الهندوسية، وثانيهاـ يتحدث عن الجهود الساعية إلى بناء الديانة الواحدة، وثالثها ـ يحلل اختلافات عقديةبينية قادت إلى صعوبة استمرار بقاء الديانة موحدة، ورابعها ـ يبين عوامل اجتماعية تتسبب في خروج بعض شرائح المجتمعات الهندية عن الهندوسية وظهور ديانات جديدة منشقة عنها وإثبات استحالة أنتصمدهي ديانة واحدة.

الدراسات السابقة على الموضوع

تفتقر المكتبة العربية إلى دراسة مثل هذا الموضوع؛ لأنه لا يحظى بأهمية بالغة من الدارسين العرب ولو مع ضرورة التعمق فيه ليكون خير عون للتعامل مع أكثر من مليار نفرمن أتباع الديانات الهندية الأصل والنشأة؛بقدر ما يولي أساتذة الجامعات الإسلامية والعربية اهتماما أكثر للدراسات اليهودية والمسيحية.وكانت البحوث التي تحقق إنجازها على أيدي الباحثين الأوربييننمثل "كاوين فلود" و "ويل سويدمان" عنصر تشجيع دفع كاتب هذه السطور إلى الاستكثار من الموضوع.

ويمثل مصطلح الهندوسية تنوعا ساحرا من العقائد والشعائر والمسارات والتطورات التاريخية، ناهيك عن رأي بعض الدارسين بأن الهندوسية كونها مصطلحا مجردا لا يحمل أي معنى.ويخالفه من له توجه سياسي، وهم يتشبثون ببالغ أهمية الهندوسية بحجة أنها قد خولت شعوب الهند هوية وطنية وشعارا قوميا لعبا دورا رئيسيا في حرب الاستقلال من الاستعمار.وهذا لا يعني أن تكون كيانا دينيا موحدا كما يعكسه كل من الإسلام والمسيحية؛ إذ فشلت الهندوسية في تأسييس حدود دينية جلية وجامعة تؤلف ديانة واحدة من الطوائف المفترقة.وحال صعوبة الإجابة عن السؤال المشكل عليه: ماذا الهنودوسية؟،يجب على أن يدور بخلد الباحثين أنها خيال وبناء استعماريمضلل يخفي صور الطابع الفئوي للثقافة الأهلية والاختلاف الديني.ويضم الكتاب الذي حرره "كاوين فيلود" بحوثا ثرية للباحثين الكبار، تنور هذا الشأن لكي يدرك دارسو الديانات الهنديةقضاياها إدراكا صحيحا[2].

وليست الهندوسية دينا بما يعنيه المصطلح الإنجليزي Religion الذي يمكن أن ينطبق على الإسلام والمسيحية.ويترتب هذا الرأي على عوامل مختلفة، وهي:عدم دوران الهندوسية حول مفهوم إله محدد الجوانب العقدية، وعدم صدورها عن مؤسس معيّن، وعدم استنادها إلى كتاب مقدس موحد.ولا ينعكس مدلول الهندوسية التي توردها القواميس الدينية أن ترادف ديانة واحدة على حقيقة تعددية جليةوواقع ديني متنوع يسود الأراضي الهندية.ويسترعي البحث الذي كتبه "ويل سويدمان" أنظار الباحثين إلى التوسع في دراسة ديانات متباينة في الهند[3].

ويكون هذا العمل العلمي لباحث هذه الدراسة إضافة جديدة إلى المكتبة العربية مما يجدي طلاب مقارنة الأديان لكي يقدموا إسهامات بحثيةلم تتوفر للقارئ العربي في العصر الراهن، ويقوموا بدراسات عميقة تعين على فهم القضايا الدينية الهندية فهما منشودا.

[2] Gavin Flood (Ed), *The Blackwell Companion to Hinduism*, (Malden, Blackwell Publishing,2003).
[3] Will Sweetman, Hinduism" And the History of Religion: Protestant Presuppositions In The Critique Of The Concept Of Hinduism, Journal of the North American Association for the Study of Religion,15 no.4(2003).

منهج البحث (حذفت بعض السطور علما بأن التحليل واضح لدى القراء.)

يُعنى هذا البحث باستخدام منهج تحليلي للقضايا المختلفة المنسوبة للطوائف الدينية المتعددة التي تثبت معارضة تصور الديانة الواحدة.ويولي التحليل إظهار الانشقاقات العقدية بين ديانات الهند اهتماما ويبرز ما يترتب عليها من استقلالية الأديان بعضها عن البعض.

أـ التعدد الديني في الهند

يحرص هذا المبحث على تسليط الضوء على إسهامات علمية قديما وحديثا زود الجهابذة العظام مكتبة مقارنة الأديان بها في سبيل توضيح حقيقة تعدد الديانات الهندية النشأة.

1- تحث كتابات أبي الريحان البيروني (973-1050م) حول عقائد وشعائر دينية هندية على اختيار موضوع هذا البحث.ولا يدل عنوان كتابه على ديانة واحدة، أيا كان اسمها، ويشير جزء "ما للهند" من عنوانه إلى ما هو منسوب إلى الهند من عقائد وشعائر وطوائف ومذاهب وعلوم وفنون.وتمثل هذه الحقيقة محتويات هذا المؤلف العريق ولا تدور حول جماعة واحدة دينية، بل حول "أديان الهند ومذاهبهم"[4] كما يشير إلى اختلاف ملحوظ بين عقائد العلماء المتخصصين وعامة الناس السذج ويعكس كتابه تطبيقا جليا على قاعدة أن لا تكون الديانة واحدة بين "الخاصة والعامة" في الهند[5].ويمكن وصف هذا الوضع بأن الجماعة الأولى فلاسفة كبار مثل "سانكاراشيار" (من مواليد 700م) مؤسس "أتوايدا ويدانتا" و"رامانوجا"(1017-1137م) صاحب "ويسيشتا وايدا ويدانتا" و"سريكانتا" (من

4 أبوالريحان البيروني, تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة،(حيدراباد،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،1958م)، 4.

5 Ibid, 20.

مواليد القرن الثالث عشر الميلادي) مؤسس "سيفا ويسيشتا وايدا" وغيرهم [6].وأما الطائفة الثانية دُهماء بسطاء يعبدون ثلاث مائة وثلاثين مليون إله وإلهة، ولهم ديانات لا عدد لها[7].وينطبق كذلك على الفئة الأولى الانتماء إلى عبادة الإله المطلق المجرد "نيركونا"، حال رجوع الفرقة الثانية إلى الإله المشخص "ساكونا" الذي ينضوي تحته الآلهة المتعددة.وهذا ما سماه "أتوايدا ويدانتا" ب"براهمان" السافل أو إيشورا" تلميحا إلى تصور احتوائي يضم سائر الآلهة، عكس "براهمان" الأعلى إشارة إلى الإله الأعلى المجرد عن الحدود والصفات والصور[8].

2- يحصل استغناء الباحثين عن دعوى الديانة الواحدة الهندوسية بقول أبي الفتح الشهرستاني (1086-1153م)في كتابه الملل والنحل[9]بأن" الهند أمة كبيرة وملة عظيمة وآراؤهم مختلفة" لكي يندفعوا نحو قناعة علمية بتعددية ديانات الهند.وينكشف عقله المقارن بعقد المقايسة بين مناهج بعض ديانات الهند وديانات الدهرية والثنوية والصابئة.ويزيد عليها بذكر خمس فرق:البراهمة وأصحاب الروحانيات وأصحاب الهياكل وعبدة الأصنام والحكماء.وتحدث الشهرستاني عن الديانة التقليدية المنحدرة عن الآريين وهي متمثلة في البراهمة، ومما يلفت النظر هنا أنه أدرج ديانة "بوذا" التي مثلها رجال الدين العزاب الزاهدون في الدنيا والراغبون عن لذائذها باسم البَدَدة (واحد هذا الجمع البُدّ) على تصنيف طوائف البراهمة، كون "بوذا" منشقا عن ديانة البراهمة رغم أنه منسوب إلى الطبقة الثانية "كشتريا" الملوك والمحاربين.وأبان الشهرستاني اختلاف جماعات التقشف المعرضة عن حياة الدنيا ومتاعها من فئات البراهمة باسم أصحاب الروحانيات.وأفرد عنوانا خاصا يوضح عبادة المظاهر الطبيعية مثل الشمس والقمر باسم أصحاب

[6] S. Radhakrishnan, (Tr), *The Brahma Sutra the Philosophy of Spiritual Life*, London, George Allen & Unwin Ltd,1960.

يشمل هذا الكتاب كله على اثني عشر فيلسوفا دينيا هنديا ومدارسهم اللاهوتية.

[7] Monier Monier Williams, *Brahmanism and Hinduism; or Religious Thought and Life in India*, (New Delhi, Cosmo publications,2004), 44.

[8] Sudhakshina Rangaswami, *The Roots of Vedanta*, (Haryana, Penguin Books,2012), 118-119.

[9] أبوالفتح محمد الشهرستاني،الملل والنحل،(بيروت،دار الفكر،2002م)، 415-402.

الهياكل، وميز عن هؤلاء عبدة الأوثان باسم عبدة الأصنام.واختتم بيانه بذكر وجود عقلاء بمثابة كماء يونانيين مثل فيثاغورس.وأشار الشهرستاني إلى ست عشر طائفة تحت هذه الفرق الخمس الرئيسية، ناهيك عن أنه لم يخض في مناقشة جماعات دينية هندية تحاكي ديانات الدهرية والثنوية والصابئة.

3- يحتوي الجزء الخاص بديانات الهند من الكتاب الكبير "دابستان ـ ى ـمذاهب ل"ذو الفخار مفيد" (من مواليد 1612م) المترجم بعنوان "الهندوسية في عهد الهند التابعة لملوك "مُغل" خلال القرن السابع عشر"[10]، على ما يدعم عدم وجود ديانة واحدة، وينطوي على ما يكرس موقف تعدد ديانات الهند.ويتحدث المؤلف فيه عن أكثر من اثنتي عشرة طائفة دينية تمتلك عقائد وشعائر متباينة.ويحمل هذا الكتاب في طيّهمناقشة شافية لقضايا فرق شتى:1ـ "فوروا ميماسا" اللاهوت القديم البراهماني الذي أهمل تصور الإله، 2ـ المؤمنين ب"باكاواتا فورانا" وهم منحدرون من الديانة الوايشناوية آمنوا بأن "نارايان" هو الأصل والوجود الحقيقي المجرد،3ـ الهندوس البراهمانيين المعروفين ب"سمارتا" وهم محافظون على الشعائر والطبقات حفاظا صارما،4ـ "ويدانتا" ديانة المعرفة العليا ووحدة الوجود،5ـ "سانكايا" المعتقدة ب "فوروشا" الروح الحريصة على التحرر من "فيراكيرتي" أصل العالم وقيوده،6ـ "يوكا" المؤمنة بالإله الواحد "إيشورا" والذكر ورياضات التنفس للاتحاد به،7ـ "شاكتيان" التي تدين بدين "ماهاديوا" أي "سيفا" وزوجته "مايا شاكتي" المسؤولة عن عملية الخلق،8ـ وايشناويو "وايراكي" وهمعبدوا إلههم الأعلى "ويشنو" وهو خالق إله الخلق "براهما" وإله الدمار "سيفا"،9ـ "شارواك"المشككين والملحدين الماديين الذين آمنوا بأن هذا العالم ليس له صانع،10ـ "تارك" أصحاب علم المنطق والجدل وهو انقسم لديهم إلى ستة عشر قسم واهتمهؤلاء بجزء المناقشة والمناظرة والاستدلال،11ـ أتباع "بوذا" الذين كانوا يُدعون ب"جاتيس"، وهنا اختلط على ذي الفخار مفيد مفهوم عدم العنف بين الديانتين الجينية والبوذية،وهو مراحل متفاوتة، أخذت الجينية أكثرها غلوا والبوذية أقلها إمعانا، واحتمل أن يكون شيئا واحدا

[10] Zulfaqar Mubed, *Hinduism: During the Mughal India of the 17th Century*, (Patna, Khuda Bakhsh Oriental Public Library,1998).

في عصره ولم يميزه بينهما ولكنه قيد نفسه في الكتاب للحديث عن ممارسات أتباع الجينية و12- الطوائف الصغيرة الأخرى.

4- ولا بد من أن يفتخر عالم البحوث الهندوسية في العصر الحديث بالباحثين العظام "كاوين فيلود" Gavin Flood[11] و"كلوس كي.كلوستار ميآر" Klaus K.Klostermaier[12] و"مونيار مونيار ويليامس" Monier Monier Williams[13] الذين بذلوا مجهودات هائلة لإيضاح حقائق الطوائف الهندوسية على حدة، وقد أهملت محتويات كتبهم قضية الديانة الواحدة. فلا ريب أن قارئها لا يتأثر بانطباع أن هناك ديانة واحدة تسمى بالهندوسية؛ بل يميل إلى اكتظاظالهند بديانات متباينة.

نقد تصور الديانة الواحدة

طُرح في الغرب سؤال عن وجود ديانة واحدة تُدعى بالهندوسية بعد أن أثار كتاب الاستشراق ل"إدوارد سعيد" (1935-2003م)جدلا شديدا واسع النطاق بين المثقفين.واتهم هذا العالم المستشرق الناقد بأن الصورة التي تقدم بها مصطلح الاستشراق ورسمها في الغرب لا تمثل الحقيقة الآسيوية، ولا تعرض ما يسود في بلدان آسيا من أوضاع صحيحة.ولكنها صورة تجسم مصالح ورؤى الاستعمار الغربي.وأعقب موقفه دعوى بعض العلماء الآخرين بأن الهندوسية واحد من أفكار مركبة شيدها المستشرقون، ينبغي نبذه.وبإدراك حقيقة أن التسمية "الهندوسي" منحدرة عن أصل غير هندي، تجلى الواقع الملموسالمفيد بأن من يُدعى بأنهم هندودس ليسوا منسوبون إلى كيان واحد؛ بل يمتلكون أسماء مختلفة عينوها لأنفسهم، ويظهر كل فريق منهم هويته المعينة باسم خاص مثل البراهماني والويدانتي والسيفي والوايشناوي، وانقسموا إلى طوائف ومجتمعات متعددة تعبد آلهة كثيرة وتتبع أعرافا وعادات

[11] Gavin Flood, *An Introduction to Hinduism*, (Cambridge, Cambridge University Press,1999).
[12] Klaus K Klostermaier, *A Survey of Hinduism*, (New Delhi, Munshi Ram Manohar Lal Publisher Pvt.Ltd,1993).
[13] Williams, Brahmanism and Hinduism; or Religious Thought and Life in India.

متباينة.ومن الواضح أن تسمية الهندوسية لا تصور شكلا صحيحا لحقائق دينية متنوعة، وأحيانا متضاربة ذات طابع الانشقاق، مما يقود إلى إسقاط الحديث عن دعوى الديانة الواحدة[14].

ويجمل بنا أن نلفت الأنظار إلى مصطلح "الهندوسية"، ولم يخرج من أهل الدين أنفسهم،وليس في الهند أي فهم أهلي للديانة الموحدة قبل طلوع القرن التاسع عشر، ويؤدي البحث الجادّ في أي فترة سابقة له إلى نفي دعوى الديانة الواحدة؛ إنما هو مصطلح صاغه المثقفون الغرب والإرساليات المسيحية[15]، كما أنه إداري عرّفه البريطانيون واستغله الهندوس لغرض تمييز أتباع الدينين الإسلامي والمسيحي من أصحاب الديانات الأهلية ذات الأرومة الهندية في القرن التاسع عشر الميلادي[16].ومن المعلوم بأن مصطلح الهندوسية دخل القاموس الديني عام 1830م، وكانت تسمية الهندوسي في اللغتين السنسكريتية والبانغالية تستعمل لتدل على أفراد المجتمع الهندوسي كأنهم تجمع عرقي واحد خلاف "ياوّنا" أي أعضاء المجتمع المسلم منذ القرن السادس عشر[17].

وهذا، وإن ملايين من الالهة هي حقيقة معالم التعدد الديني الهندي، وآراء حول الإله الواحد والديانة الواحدة عارضة طرأت على الساحة ويمكن أن تزول.وتساهم العقول الانسانية في تزايد عدد الآلهة، ويرتفع هذا الشأن إلى تواجد ٣٣٠ مليون إله وإلهة في الهند[18]، إذ يتبني الهندوس إلها لكل صفة: إلهة للجمال وإلهة للثروة، وإلهة للتعليم وإله للخلق، وإله للحفظ، وإله للدمار. وتملك كل عائلة إلها أو إلهة خاصة بها، وقد أضحت العاصفة والنار إلهين، وأصبح الصباح والمساء إلهين، وغدت الشمس والقمر إلهين.[19] وتستمر الألوهية رخيصة في بلاد الهند العريقة؛ فتم اعتبار الملك والبراهمة (رجال الدين البراهماني) والرهبة والأبقار آلهة أو إلهات. وأصبح الذهب

[14] Klaus K. Klostermaier, *A Short Introduction Hinduism*, (Oxford, Oneworld,2002), 12.
[15] Andrew J. Nicholson, *Unifying Hinduism Philosophy and Identity in Intellectual History*, (Ranikhet, permanent Black,2011),196-197.
[16] Klostermaier, *A Short Introduction Hinduism*,13.
[17] Flood, *An Introduction to Hinduism*,06.
[18] Williams, *Brahmanism and Hinduism; or Religious Thought and Life in India*,44.
[19] K.M. Sen, *Hinduism*, (Middlesex, Penguin Books Ltd,1970),18.

والزبدة المصنَّفاة آلهة كما ورد في الحديث عنهما في بعض كتب الأحكام. وكانت الأشجار آلهة، ويسكن الإله وسط كل منزل كـ"أجني" النار[20].

ويستحق الهندوس أن يلقبوا بتطوريين قبل "شارلس داروين" (1809-1882م)؛ لأنهم أبقواتصور الإله على حالة تطور مستمر واستكثار متواصل، بحيث تتفرع عنه ملايين من الآلهة الجديدة مثل الشجرة الكبيرة التي تتشعب منها أغصان لا يحصى عددها[21].وتؤمن البراهمانية بأن جميع الأشياء عناصر تنبثق عن الإله ـ الحقيقة الخالدة ـ مثل قطرات ماء صادرة عن البحر وشرارات متطايرة ومنبعثة عن النار.وتؤكد على التسوية المطلقة بين الموجودات والأحجار والأشجار والحيوانات والبشر وشبه الآلهة والآلهة، واستحالة التفرقة بين هذه الأشياء والكائنات[22]، مما يساهم في تزييد كمية الآلهة إضافة إلى تجسدات طيبة وأعدائها الشياطين السيئة التي يعبدها أهالي الهند[23].

وتملك كل قرية وكل محافظة في الهند إلها محليا أو قبلياخاصا به أو إلهة محلية أو قبلية خاصة بها كما تعتقد شعوب الهند بأن هناك عددا غير معدود من موجودات شبه إلهية متعلقة بالنبات والغابات والحقول؛ فيتم تقديسها كونها توفر الحماية للمجتمع وتمنحه السخاء والرخاء إنيتم إرضاؤها.[24] ومما يزايد عدد الآلهة في الهند الفكرة الذائعة لدى الهندوس أن يروا الإله في الإنسان وأن يكون الإله داخل الإنسان إذا قاد حياة دينية ملتزمة توافق ما تأمر به هذ الديانة. وقد لعب هذا الموقف دورا مشهودا في أن يُقدسويُتخذ كل رجل متدين إلها شخصيا؛فيعبده أتباعه وأقرباءه.[25] وتعتقد "أتوايدا ويدانتا" بأن إنزال الإله إلى واقع دنيوي محدود للإدراك البشري يتسبب في خروج حالة ناقصة له لا تمثل أصله، وبل تعكس إلها متصفا بالصفات "ساكونا براهمان" أو إيشوارا"، ويندرج تحته كل إله

[20] Paul Williams, *Mahayana Buddhism: The Doctrinal Foundations*, (London, Routledge, 2009),174.
[21] Williams, *Brahmanism and Hinduism; or Religious Thought and Life in India*, xii.
[22] Ibid,43-44
[23] Ibid, xv.
[24] Margarret Stutely, *Hinduism Eternal law: An Introduction to the Literature, Cosmology and Cults of Hindu Religion* (Wellingborough, The Aquarian Press,1985), 39.
[25] Klostermaier, *A Short Introduction Hinduism*, 83.

مشخص يحمل الصفات.ويحتوي هذا التصور على الثالوث البراهماني للآلهة المعلمَة بالصفات:الخلق ل"براهما" والحفظ ل"ويشنو" والدمار ل"سيفا"[26].ومما لا يمكن نفيه أن الصفات كان لها نصيب وافر في تكدس وتكثر عدد الآلهة مثل الإلهات:"لاكشمي" لحسن الحظ والثروة[27] والجمال[28] و"ساراسواتي" للذكاء[29] والتعليم ورعاية الفنون والعلوم[30] و"ديوي" للنور والخصوبة[31] وهي باسم "دوركا" إلهة الحرب[32]، وصورتها الأخرى "كالي" للتخويف والإرهاب[33]، وهكذا تتوطد العلاقة بين الصفات والآلهة الكثيرة في تاريخ الفكر الديني.

ويشتهر "كانيشا" الإله ذو وجه الفيل بكتابة سفر الملاحم "ماهاباراتا" المقدس وكتب "فورانا" المقدسة؛ فتتسبب صفة الكتابة في كونه إلها راعيا يجذب إليه كل من يكتب. ويُعجب به حتى الآن المحاسبون والمصنفون والصحفيون وبالخصوص طلاب العلم. ويتقدمون بالأدوات التي تشغل وظائفهم من الكتب والحواسيب الآلية والدفاتر وغيرها، ويضعونها أمام "كانيشا" لينعموا بتلقى بركاته.[34] ولا يفوتن الدارسين ظاهرة أن يقف الهندوسي وقوف عبادة أمام الضوء الكهربائي بعد ضغطهم زره في المسا.ويعتبر الفلاحون الهنود البقرة عرشا ل"ديوا" آلهة الدرجة الثانية ويعبدونها كما يتقدم عمال المصانع الهندوسية بالعبادة لماكينتهم وآلاتهم اعتقادا بأنها "ديوا" التكنولوجيا وبأن حياتهم تسير سيرا صحيحا بتحركاتها[35].

[26] Ibid, 109.
[27] Ibid, 60.
[28] Stutely, *Hinduism Eternal law: An Introduction to the Literature, Cosmology and Cults of Hindu Religion*, 43.
[29] Ibid, 43.
[30] Klostermaier, *A Concise Encylopedia of Hinduism*, (Oxford, Oneworld,2003), 165-166.
[31] Margret and James Stutley, A Dictionary of Hinduism, Its Mythology, Folklore and Development 1500 BC-1500AD (London, Routledge &Kegan paul,1977), 74.
[32] Hugh B. Urban, *The Power of Tantra Religion, Sexuality and the politics of South Asian Studies*, (London, I.B. Tauris,2011), 47.
[33] Ibid, 95.
[34] Klostermaier, *A Short Introduction Hinduism*, p-74.
[35] Ibid, 132.

ب ـ مساعي تكوين الديانة الواحدة

شهد التاريخ الهندي ويظل يشهد جهودا جبارة لكي توحد الطوائف الدينية في أراضي الهند،وتقضي على الفُرقة والخصومة الدينيتين.ويشكل بدون الإلمام بها على الباحثين استيعابة آفاق وأبعاد التعدد الديني فيها.ويهتم هذا المبحث بمناقشة بتلك الأعمال الرامية إلى تشييد الصرح الديني الواحد.

العملية السنسكريتية

دفع الانتصار الآري الويدي التدريجي على بلاد الهند إلى توخي خطوات لازمة تسعى لتوحيد العقائد والشعائر وعولمتها تحت المظلة السانسكريتية واللغة السانسكريتية في العصر الوسيط الذي شكل منعطفا مهما في تاريخ الهند الديني. وذلك سعي مخطط مسبقا إلى تقوية تصور الديانة الواحدة عن طريق تعريف عملية تغيير جذري ذي الأخذ والعطاء يغطي الأسماء والمصطلحات والمفاهيم الدينية مما أسفر عن التمازج بين ديانة "ويدا" النظامية والأديان الأخرى، حتى حظي احتفال قرابين "ويدا" بقبول المجتمعات غير الويدية.ولعب حكماء آريون مثل "أكاستيا" دورا فعالا في تعزيز مهمة الدمج الداخلي[36].

وهذه عملية واسعة تدخل أديانا غير ويدية لبوتقة سانسكريتية لكي تُبَرْهم محتوياتها (تصيّرها براهمانية).ويشار هنا إلى أحسن مثل لها حينما تم التسوية بين "ويدوبا" إله الطائفة الدينية المحلية و"ويشنو" أحد آلهة البراهمانية الثلاث أو أحد الثالوث البراهماني[37].ولا يمكن أن يمر كذلك باحث في الديانات الهندية إلا على المعرفة برمي العلماء البراهمانيين السنسكرتيين إلى دمج مقصود بين الآلهة البراهامنية و"يشنو" إله الحفظ و"سيفا" إله الهلاك

[36] Klostermaier, *Survey of Hinduism*, 277-278.
[37] Flood, *An Introduction to Hinduism*, 148.
جماعة "ويدوبا" المحلية النشأة مشهورة بمنطقة "فانداربور" في إقليم "ماهاراشترا" الهندي.
Ibid, 142-144.

جزءي التثليث البراهماني المرؤوس من قبل إله الخلق "براهما" وبين آلهة قوم "تاميل" الديراويدي "تيرومال" و"مودالوان" و"موروكان".وليس منسيا أن طالت حروب حامية الوطيس بين البراهمانيين الآريين والديراويديين مما اضطر المثقفين الآريين إلى إنهائها بابتداع قالب ديني مظلي تنصهر فيه كافة الطوائف الدينية.فتم التشابه بين "تيرومال" و"ويشنو" والتماثل بين"مودالوان" و"سيفا" والتساوي بين "مروكان" ولد "مودلوان" و"سيكاندا" ولد "سيفا"[38].وأدرجت إلهة الديراويديين "ماريامّان" على قائمة العملية السانسكريتية وتم التجانس بينها وبين الإلهة الشمالية "دوركا"[39].ورفعت عملية السنسكريتية أيضا المعتقدات الإقليمية المروية شفويا والآلهة المحلية والأساطير الشعبية وصور الشعائر المختلفة و الجماعات الدينية التي تمارس المس إلى مستوى عالمي بهدف تكوين ديانة عالمية واحدة[40].

وتجسد العملية السانكريستية أيضا واحدا من المساعي الجسيمة في التاريخ الديني الهندي يهدف إلى تشكيل ديانة توافقية بين سكان الهند جمعاء من أجل تحقيق غرض ثمين هو إنهاء الانقسامات الدينية المضادة.وعلى الرغم من أنها نجحت في وضع حد لعواقب ومساوئ النزاعات الدينية نجاحا ملحوظا إلا أن مهمتها الرامية إلى تأليف ديانة واحدة من الفرق المشتتة لم تتكلل بخاتمة محمودة ولم تبلغ غاية موفقة. ويكون خير دليل على هذا الافتراق الديني دوام طوائف الديانة السيفية و الديانة الوايشناوية والديانة الشاكتية حتى الآن، متمتعة باستقلاليتها التامة.ولن يفوتن الباحثين الخصومة الدينية التاريخية المستمرة بين السيفية والوايشناوية[41].ولن ينسى التاريخ هروب أبرز مؤسسي اللاهوت الوايشناوي "رامانوجا"إلى بلاد متجاورة من اضطهادات ملوك الديانة السيفية، وعاش في المنفى اثنتي عشرة سنة، وتسبب إنكارهلقبول "سيفا" إلها في اللجوء إلى دولة أخرى[42].

[38] Klostermaier, *Survey of Hinduism*, 280.
[39] Flood, *An Introduction to Hinduism*, 18.
[40] Ibid, 148.
[41] Williams, *Brahmanism and Hinduism; or Religious Thought and Life in India*, 66.
[42] Klostermaier, *A Survey of Hinduism*, 285.

والشاكتية تنأى نفسها عن جميع هذه الديانات حال كون الشاكتيين يعبدون إلهة على نقيض غيرهم من أتباع الأديان الأخرى؛ لأنهم يعبدون إلها أو آلهة (ذكور).ولا يغيبن عن الدارسين تقسيم واقعي للمتدينين الهندوس إلى أقسام ثلاثة أساسية:ديانة من يعبد الإله المشخص وديانة من يعبد الإلهة المشخصة وديانة من يعبد الإله المجرد عن صفتي الذكورة والأنوثة[43].

جهود سانكاراشاريار

وليس غريبا في تاريخ الهند الديني أن كافح المصلحون التوجه الطائفي المغالي، ولم يألوا جهدا لنبذها.ومن أبرزهم "سانكاراشاريار"(700- 750م) مؤسس ديانة "أتوايدا ويدانتا" الذي حارب فرقا دينية هندية لا يحصى عددها، ورفض طابع انشقاقها المفْرط.وكان يجيز وجود ست جماعات دينية فقط، وهي:عبدة "سيفا" وعبدة "ويشنو" وعبدة الإلاهات ـ زوجات الآلهة (الشاكتية) وعبدة "كانيشا" أو "كانافاتي" الإله ذو وجه الفيل وعبدة الشمس و"فاسوفاتا" الرهبة المتقشفون المنحدرون من السيفية.ولا يبدو أن مثل هذه المساعي حققت نجاحا منشودا من أجل تقليص جمع غفير من الكيانات الدينية الهندية[44].

فلا شك أن الحطمن عدد هائل من الفرق سبيل تدريجي لبلوغ غاية إيجاد الديانةالتوافقية.وبالنسبة حلم الهندوسية الواحدة فهوكانبعيد المنال بسبب كون الطوائف مستقلة لا تريد التبعية لأي ديانة كبرى ولو مع سعي البراهمانية إلى إخضاع الإلهين "سيفا" و"ويشنو" لها.وأما السيفية فجماعاتها حية حتى الآن، وهي: سيفية "فاسوفاتا" وسيفية "كوراكناتا" وسيفية "ويرا" وسيفية "كانافاتيا" وسيفية كشمير وسيفية "سيتانتا"[45].وبالنسبة للوايشناوية فتندرج تحتها خمس طوائف منفصلة، وهي طائفة "سريوايشناوا" وفرقة "كاوديا" وجماعة "راما ناندي" وفرقة "ويدوبا"

[43] Stutely, *Hinduism Eternal law: An Introduction to the Literature, Cosmology and Cults of Hindu Religion*, 120.
[44] Williams, *Brahmanism and Hinduism; or Religious Thought and Life in India*, 59-60.
[45] www.Saivism.net/sects/, Accessed on15-10-2020.

وفرق "وايشناوا" الشمالية[46].وتحيى الشاكتية حاليا بشقيهما، وهما فرقتا "ديوي" المرغبة[47]و"كالي" المرهبة[48].وليست هذه الثلاث ديانات ويدية أصلا،ولا تنتسب نشأتها إلى بداية تدوين الأدبيات البراهمانية؛ بل ارتوت من مناهل غير ويدية، هي أسفار "تانترا". وممارساتها وشعائرها وتقاليدها الدينية المسجلة فيها عائدة إلى الهند العريقة قبل ظهور "ويدا"، وآثارها على هذه الأيان الثلاثة أقوى وأبرز منها لكتب البراهمانيين الآريين[49].

جهود تأليف الديانة الواحدة العالمية في العصر الحديث

وكانت أعمال "ويواكانانتا" (1863-1902م)تهدف إلى تكوين ديانة واحدة كونية ذات الكمال، هي الهندوسية القائمة على أسفار "ويدا" والغافلة تماما عن فرق وصور الدين الأخرى كونها ثانوية[50]، والهادفة إلى إيجاد مشروع هندوسي شامل يتضمن التوفيق بين الوطنية والدين والسياسة[51].ورغب في تشكيلها ديانة موحدة عالمية تصمد متساوية للديانات المسيحية والإسلام واليهودية والبوذية بغض النظر عن الاختلافات الجلية بين أديان الهند[52]. وليس متواريا عن أنظار باحثي أديان الهند أن "رادا كريشنان" (1888 -1975م) علامة الدين الهندوسي المحدث بذل قصارى جهوده من أجل تصوير الهندوسية ديانة واحدة وعالمية ناشئة عن سفر مقدس واحد هو "ويدا". واشتهر بمساعيه الضخمة لكي يجمع بين الهندوسية والديانات المخالفة لها بحجة أنها جميعا استفادت من "ويدا" لصياغة عقائدها.وليس معيار تعيين الفرد متدينا أو غير متدين يستند إلا إلى الاعتراف بسلطة كتب "ويدا" العليا، ويهم "رادا كريشنان" الاستفادة من "ويدا" ولو كان المستفيد ملحدا ينفي وجود الإله؛ لأن بعض المدارس الفكرية

[46] Flood, *An Introduction to Hinduism*, 133.
[47] Ibid, 175.
[48] Ibid, 185-186.
[49] D. Jagannatha Rao, *Essence of Hindu Religion and Philosophy*, (New Delhi, Viva Books, 2015), 176.
[50] Jotirmaya Sharma, *A Restatement of Religion: Swami Vivekananda and the Making of Hindu Nationalism*, (New Haven, Yale University Press,2013), 250.
[51] Sharma, *A Restatement of Religion: Swami Vivekananda and the Making of Hindu Nationalism*, 189.
[52] Flood, *An Introduction to Hinduism*, 58-59.

الهندوسية مثل "نيايا" و"وايساسيكا" و"سامكايا" و"فورواوا ميمامسا" منصرفة عن الإله، وبعضها منكرة لوجوده مع أخذها مواد علمية لعقائدها من أسفار "ويدا"[53].

ويختلف موقف الديانات السيفية والوايشناوية والشاكتية من "ويدا"؛ إذ تعتبرها تابعة وثانوية لأسفارها المقدسة "سيفا آكاما" و"سامهيطا وايشناوا" و"شاكتي آكاما" الصادرة عن أدب "تانترا" المخالف ل"ويدا"، فتفقد كتب "ويدا" عند هذه الديانات سلطتها العليا[54].ولا تقبل إذن التعريف المشهور بأن الهندوسي من يسلم بعلو سلطة أسفار "ويدا".[55] وإن الواقع الهندي التعددي المعاكس لفكر "ويواكاناندا" و"رادا كريشنان" المثالي وحلمهما العظيم لم يسمح بتحققهما؛ لأنه من الجلي أن هذين العالمين الكبيرين همّا بعولمة الهندوسية ديانة واحدة نتيجة تعارفهما على عالمية المسيحية الغربية وتعرضهما للتدريب الفكري الغربي المسيحي[56].وكانت هذه الرغبة غاية عظمى تتمثل في دأب المصلحين الهندوس المحدثين على دفع الهندوسية نحو درجة ديانة عالمية تفوق المسيحية والإسلام أو تقف أمامهما متساوية.[57]

ج ـ الاختلافات العقدية البينية

تعرقل الاتجاهات العقدية المتباينة ظهور ديانة واحدة توافقية بين الجماعات الدينية الهندية.ويمثل تضارب الجوانب العقدية استقلالية كل طائفة دينية عن الأخرى حتى ترتقي إلى مستوى ديانة كاملة منفصلة مما يدل على أن تصور تعدد ديانات الهند أقوى أصالة من وجود دين واحد في أي مرحلة من مراحل التطور الديني الهندي.

[53] S. Radhakrishnan, *Indian Philosophy*, (London: George Allen & Unwin Ltd,1977), 2:20.
[54] Flood, *An Introduction to Hinduism*, 158-159.
[55] Klostermeir *A Short Introduction Hinduism*, 15.
[56] Klostermaier, *Survey of Hinduism*, 40.
[57] Flood, *An Introduction to Hinduism*, 251.

عدم قبول سلطة ويدا

ليس هناك اتفاق على وجود وحي واحد لديانة واحدة هي الهندوسية، وتدعي كل فرقة بأن كتابها فقط مقدس، وهو الوحي الوحيد، وتعتبر كتاب طائفة أخرى سفرا ثانويا تابع لوحيها الأصيل.وأما الديانة البراهمانية المنحدرة من الآريين فوحيها كتب "ويدا"، وتعد كتب الفرق الأخرى أسفارا ثانوية تفسر ما تحتويه كتب "ويدا".وتنكر الأسفار المستقلة لكل من الديانات الوايشناوية والسيفية والشاكتية تطويق كتب "ويدا" لها، ولا تعترف بعلو سلطتها، نازلة بها إلى درجة أسفل منها.وتعتبر كل من هذه الديانات كتابها وحيا منفصلا من الإله "ويشنو" أو الإله "سيفا" أوالإلهة "شاكتي"[58]. وتتبنى الديانة الوايشناوية هذا الموقف من أن الوحي هو كتب "فورانا"، ليس "ويدا"؛ فترى أن تكون كتب "ويدا" قد جاءت متأخرة[59].وتسير الديانة السيفية على نفس النهج وتعلن عن علو وحيها "آكاما" وتبعية أسفار "ويدا" له[60]. وتصوغ الوايشاناوية وحيا مستقلا يتمثل في كتابي "باكاواتام" و"ويشنو فورانا" الذي يشمل في ثناياها على القصص والأساطير، وهذان جزءان هامان من كتب "فورانا"[61]. أما الديانة الشاكتية التي تعبد الإلـهة لا الإلـه، فتتجه إلى الاعتقاد بأن كتب "تانترا" الشاكتية هي "شروتي" أي وحي خالص فقط[62].

وتوزّط هذه الاختلافات جميع جماعات الديانة الهندوسية في إشكالية تعريف من هو الهندوسي؟ ويقع التعريف بأن الهندوسي من يقر كتب "ويدا" وحيا[63] في معضلة كبرى، غير أنه عاد مرفوضا لدى الفئات الأخرى.

---

[58] Gavin Flood, *The Tantric Body: The Secret Tradition of Hindu Religion*, (London, I.B. Tauris, 2006), 7-8.
[59] Klostermaier, *A Short Introduction Hinduism*, 47-48.
[60] Flood, *An Introduction to Hinduism*, 158-159.
[61] Ibid, 49.
[62] Klostermaier, *A Survey of Hinduism*, 263.
[63] Ibid, 16.

ويدا الوحي المتجزئ

ليس "ويدا" أيضا وحيا موحدا، بل هو وحي متجزء، تدور البراهمانية حولـ "مانترا" وبراهمانا" و"أرانياكا" ـالأجزاء الثلاثة منه، وتركز "أتوايدا ويدانتا" على "أوبانشاد" الجزء الرابع منه.وتعتبر الأقسام الأولى الثلاثة ("كارما كاندا") منه مصدر الجهل أو المعرفة الدانية خلاف الكمال أو المعرفة العليا التي لا تنتج إلا عن "أوبانشاد"("جينانا كاندا")[64].وأما طائفة "فوروا ميماسا" اللاهوت المدافع عن البراهمانية فتتمحور حول تعاليم "ويدا" وبخاصة حول القربان، وتصف كل ما لا يمت للأضحية بصلة من أجزاء "ويدا" بأنه غير ضروري، ولا تهتم كذلك بمفهوم الإله[65].وتنبني ظاهرة تجزئة الوحي على أساس "أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكتاب وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ"(سورة البقرة الآية 85)، ومن الواضح أن أخذ الوحي الجزئي ميزة يستحيل الهروب منه في الديانات الهندوسية كما هو من خصائص الديانتين السماويتين اليهودية والمسيحية.

ويظهر هذا الخلاف العقدي جليا بين ديانتي البراهمانية و"أتويدا ويدانتا" وتركز الأولى على الشعائر والثانية تتمحور على المعرفة العليا وتعتبر ديانة الشعائر والعبادة ناجمة عن المعرفة السافلة أو الجهل "أويديا"[66].

ديانة شعائرية وديانة معرفية

يكون خروج اختلاف الديانتين من نصوص "ويدا" نفسها خير دليل على صعوبة إثبات قضية الديانة الواحدة الهندوسية، ويمثل نقدا داخليا يُغني الدارسين عن الخوض في البحث الطويل في الحجج الخارجية بقصد الإبانة عن واقع تعددي يجسّد حقيقة ديانات متفرقة هندية.وهما ديانة تتشبث بالشعائر، وأخرى تدور حول المعرفة وما ينبثق منها من العقائد المتعلقة بالإله.

[64] Paul Duessen, (Tr): Charles Johnston, *The System of Vedanta*, (Chicago, The Open Court Publishing Company,1912), 454-456.
[65] Klostermeir, *A Survey of Hinduism*, 369.
[66] Duessen, *The System of Vedanta*, 455.

يبين العلامة الهندوسي"رادا كيريشنان" المصطلحين "كارما كاندا" و"جينانا كاندا"[67]،

وهما أساسان يمثلان الاختلاف الجوهري المنبثق عن تعاليم أجزاء الكتاب المقدس "ويدا"، وتشكل أجزاء "ويدا" الثلاثة الأولى: "مانترا" وبراهمانا" و"أرانكيا" جانب "كارما كاندا" الذي تتأسس على محوره: "كارما" أي شعائر الديانة البراهمانية[68]، في حين يعبر "أوبانشاد" جزء "ويدا" الأخير جانب "جينانا كاندا" الذي تقوم على أساسه ("جينانا": الحكمة) ديانة "أتوايدا ويدانتا"[69]، ويعتقد أتباعها أنها معرفة عليا ب"براهمان" الأعلى، تقود إلى الخلاص.وتنهض غيرها من الديانات على قاعدة "أويتيا" الجهل أو المعرفة الدنيا؛ فلا تُستثنى عن هذا التصور البراهمانية المشهورة بالهندوسية.وذلك الجهل وهم فطري [70]، ولم يهدف بسببه أتباع ديانة الشعائر إلى بلوغ غاية أسمى من الجنة وهي ليست إلا ثوابا عارضا يبدو وينمحي في رأي "أتوايدا ويدانتا"[71].

وتشتهر ديانة "أتوايدا ويدانتا" باللاهوت الجديد "أوتارا ميمامسا" أو "جينانا كاندا".وظهرت مدافعة عن الإله الأعلى "براهمان" الوحيد الذي لا ينقسم إلى أرواح جزئية ولو تراءى عددها كثيرا للأعين المجردة، خلاف اللاهوت القديم "فورووا ميمامسا" أو "كارما كاندا" [72]الذي برز لكي تحامي عن البراهمانية وسط انتقادات بوذية ضارية[73]، مع ردود علماء "ميمامسا" عليها بهجوم شرس[74] قاد إلى نهاية الوجود البوذي في الهند[75].و يلتزم هذا

[67] Radhakrishnan (Tr), *The Brahma Sutra the Philosophy of Spiritual Life*, 27.
[68] Klostermaier, *A Survey of Hinduism*, 368-369.
[69] M. Hiriyanna, *Essential of Indian Philosophy*, (London, George Allen & Unwin Ltd,1985),151.
[70] Deussen, *The System of Vedanta*, 454.
[71] Radhakrishnan, *Indian Philosophy*, 2:474.
[72] "كارما كاندا" تيار لاهوتي أسسه "جايمني" ليؤكد على ألا يتحقق الخلاص إلا بممارسة شعائر وأعمال "ويدا"، ويعتبر "جينانا كاندا" وكتاب "أوبنشاد" تابعان لتعاليم "كارما كاندا".
[73] Radhakrishnan, *Indian Philosophy*, 2:375.
[74] A. Barriedale Keith, *The Karma Mimamsa*, (Culcatta, Association Press,1921), 7.
[75] Rao, *Essence of Hindu Religion and Philosophy*, 79.

الاتجاه بتعددية الأرواح، ويتم خلاصها بالأعمال أو الشعائر "كارما"[76].وعارضت "أتوايدا ويدانتا" ذلك الموقف بدعوى أن الحكمة أو المعرفة العليا فقط تصل بالبشر إلى الخلاص.[77]

تصور الإله الأعلى

يظهر بين زمن وآخر إله أعلى في تاريخ الدين الهندي ليكون تصورا احتوائيا مظليا يستحوذ على ديانات الهند وآلهتها.ويُعرف هذا المنهج لإعلاء واحد من الآلهة Henotheism ب"هينوتيئسم" ليكون فائقا للآخرين وينضوون هم تحته.ويعاكس التوحيد هذه العقيدة الهندوسية التي تتسامح مع وجود الآلهة المتعددة وتجعلها خاضعة للإله الأسمى منها[78].ولا تخفى جهود بذلها الجهابذة الهندوس في القرن الماضي مثل "ويواكاناندا" [79]وراداكريشنان"[80]ليكون "براهمان" الذي ناقشته "أتوايدا ويدانتا" التي أسسها "سانكاراشاريار" إلها أرفع من الآلهة الأخرى[81].ولا يعترف السيفيون مثل "سيفيو سيتانتا" و"سريكانتا" بهذا الموقف ويستمسكون بأن "سيفا" إله أعلى والآخرين تابعون له[82].ويخالف الوايشناويون مثل "رامانوجا" (1017-1137م)[83] و"ماداوا"(1317-1238م)[84]القولين السابقين ويؤكدون أن "ويشنو" إله أرقى من سائر الآلهة.وشهد عصر أبي الريحان البيروني أيضا احتواء "ويشنو" على الآلهة الأخرى لأن الآلهة "براهم" (براهما) إله الخلق و"ناراين" (ويشنو) إله الحفظ و"ردرو" (سيفا)إله الدمار تتحد في وحدة فشنُ (ويشنو) ولو مع كونه متوسطا في الترتيب البراهماني التقليدي[85]، وهو المنبع الواحد والعلة الأولى والجوهر

[76] Stutely, *Hinduism Eternal law: An Introduction to the Literature, Cosmology and Cults of Hindu Religion*, 68-69.
[77] Deussen, *The System of Vedanta*, 475.
[78] Amitabhvikram Dwlvedi, *Henotheism Hinduism*, www.researchgate.net/publication/330135855, Accessed on 20-10,2020.
[79] Sharma, *A Restatement of Religion: Swami Vivekananda and the Making of Hindu*, 61-64.
[80] Radhakrishnan, *Indian Philosophy*, 2:533-541.
[81] Radhakrishnan, (Tr), *The Brahma Sutra the Philosophy of Spiritual Life*, 30-32.
[82] Ibid, 68-71.
[83] Ibid, 53.
[84] Ibid, 60.
[85] البيروني, تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، 10.وانظر أيضا في محتويات هذا الكتاب.

الواحد[86].ولا يتفق هذا التأويل الوايشناوي والديانة البراهمانية التي تؤمن بأن "براهما" هو العلة الأولى ورضوخ "ويشنو" و"سيفا" له في التثليث البراهماني[87]. والأغرب من الآراء هذه اتجاه الديانة الشاكتية قائلة بأن الإلهة هي أعلى من آلهة الذكورة.وذهب إليه راهب القرن العشرين "راماكريشنا"، وذكر أن "كالي" الإلهة بصورتها المرهبة هي أعظم من جميع الآلهة، كأنه يميل إلى أن التصور الإلهي أقرب إلى الأم منه للأب[88]، ويرى أن "كالي" هي أم الكون،[89] وقد برر حرصه على الإلهة بإعلان أن "براهمان" المجرد والإلهة "كالي" جانبان مختلفان للحقيقة الواحدة[90]..

فلا ريب أن هذه المواقف اللاهوتية المتناقضة تحول دون إيجاد ديانة توافقية واحدة في ظل الإله الواحد، إذ تلتزم كل من هذه الديانات بلعو إلهها وإذعان الآلهة الأخرى له؛ فتتوفر هنا فرص ظهور خمس ديانات مختلفة.

آراء متباينة في الخلاص

وتشهد الساحة الدينية الهندية مواقف معروفة عديدة من أساس الخلاص[91].وتعتقد البراهمانية بأن الأعمال "كارما" هي الطريق الوحيد لنيل الخلاص خلاف ديانة "أتوايدا ويدانتا" المتفرعة عن البراهمانية، مدعية بأن المعرفة "جينانا" فقط تُدخل الإنسان في الخلاص. وتؤمن الديانة الوايشناوية المنحدرة عن الخلفية الصوفية ذات الطابع الهندي بأن "باكتي" الحب الإلـهي هي الوسيلة الوحيدة للظفر بالخلاص. وتتجه ديانة "كوراكناتا" المنسوبة إلى الديانة السيفية إلى أن الرياضات البدنية "يوكا" القائمة على نظم التنفس تحدو بالإنسان إلى الخلاص[92].وتتخذ

[86] Ibid, 71-72
[87] Williams, *Brahmanism and Hinduism; or Religious Thought and Life in India*, 44.
[88] Klostermaier, *A Short Introduction Hinduism*, 82.
[89] Ibid, 131.
[90] Flood, *An Introduction to Hinduism*, 257.
[91] Harold Coward, *A Short Introduction Sin and Salvation in the World religions*, (Oxford, one World,2007), 89.
[92] Ibid, 104.

الديانة الشاكتية العبادة سبيلا إلى بلوغ الوعي الخالص.وذلك خلاص خلاف قمع الرغبات البشرية للفرق التقشفية في سبيل سيرها إلى الخلاص[93].

فلا شك أن تنوع هذه الآراء الخلاصية يعرقل جهود تركيب ديانة واحدة نظرا لاستحالة إنشاء خلاص موحد عنها في حين تسعى "أتوايدا ويدانتا" إلى افتعال تأويل صعب يدمج اتجاهات الخلاص المختلفة في ضوء المعرفة السافلة، وتصعد منها الديانات الأخرى تدريجيا سلم الخلاص الطويل الذي ينتهي إلى المعرفة العليا التي هي الخلاص في "أتوايدا ويدانتا"[94].

نظرية الاحتلال الآري ونظرية الاحتكاك الحضاري

مما يلزم دارسي الديانة الهندوسية أن المعرفة بحضارة وادي "إندوس" التي كانت سائدة في أراضي الهند حينما زحف الآريون إليها ثم بأرومة الآريين وثقافتهم، تساعد على استيعاب أبعاد وآفاق الحرب التي شنها الآريون؛لأنهاتمهيد يتحدث عن إقامة الآريين وجودهم بالقتال.وهذا الشأن الذي كان أساسا متينا ليتم بناء هذه الديانة ومعتقداتها ونظمها وشرائعها، ثم طورها الآريون ومزجوها فيما بعد بما فضلوه وأخذوه من ديانة الشعب المحتل مثل التقشف والزهد بعد أن قويت شوكتهم عليه[95].وكذلك عقيدة تناسخ الأرواح أو الولادة الثانية ليست موجودة لدى الآريين وهم مدينون هنا لنفوذ مثل هذه المعتقدات عليهم من السكان الأصليين، وتبنوها جزءا هاما من أسس الهندوسية المشهورة[96].

وتؤيد هذه الآراء تحليل التعاليم الهندوسية تحليلا دقيقا يقودنا إلى اليقين بتغلغل الحرب والعداوة المترتبة عليها في جميع أمورها من بداية الاعتقاد بالألوهية إلى إحراق أو دفن الميت الهندوسي؛ذلك خلاف الرأي الجديد

[93] Klostermaier, *A Short Introduction Hinduism*, 83.
[94] Duessen, *The System of Vedanta*, 455.
[95] Sen, *Hinduism*, 18.
[96] Klastermaier, *A Survey of Hinduism*, 35.

المنبثق من أصل أن القصة الآرية المحاربة المحتلة أسطورة وخيال.ولم يوجه الآريون هجوماعلى السكان الأصليين الهنود ولم يفتكوا بهم إلا أن وقع بين الشعبين تبادل حضاري وثقافي سلمي[97].

وأما نظرية الاحتلال الآري فهي أساس تقوم عليه البراهمانية العريقة والهندوسية المنبثقة عنها.فلا ريب أن نظام الطبقات جوهر هذه الديانة أيضا صدر عن غزو الآريين واستيلائهم على أراضي السكان الأصليين والتصرفات العدائية بين القومين.وقد جُعل سجناء الحرب أعضاء للطبقة السافلة لكي يكونوا خدما للطبقات الآرية الراقية.وهذا ما أثبته علماء الأثر من أن عددا من الهياكل العظمية التي تم الاكتشاف عنها في مدينة "موهينجي تارو" التابعة لحضارة السكان الأصليين الهنود وهي واقعة حاليا بإقليم "سند" الباكستاني، توحي بأن وفيات أصحابها حصلت جراء أن طُرحوا من فوق المباني المرتفعة مما يلمح إلى عودة سبب إزهاق أرواحهم إلى إنزال المحتلين الآريين العقوبة عليهم[98].

ومن اللافت أن يحتمل تعرض الهندوسية الحالية المتأسسة على تصور الغزو الآري لتغيير كلي؛فسيكون هو لب موضوع تخرج منه ديانة جديدة أو ديانة ثانية، ليس أساسها الاحتلال الآري، إذا ثبتت نظرية مضادة له، تتضمن فكر التبادل الحضاري والثقافي المسالم. وتفيد بأن علاقة الآريين مع الشعوب المحلية ذات صلح وسلم لا حرب وبطش، وتبرر أيضا التلاشي التدريجي لحضارة وادي "إندوس" بأنه ناجم عن الجفاف وقلة المطر[99].ويجمل بكاتب هذه السطور أن ينبه دارسي ديانات الهند إلى عدم الاستعجال باستنتاج أي موقف نهائي من هذا التصور الثاني الذي هو قيد البحث. ولكنه يجب عليهم الإلمام بشأن ظهور إشكال قد طرأ على النظرية الأولى ودعوى الديانة الواحدة الثابتة[100].

[97] Flood, *An Introduction to Hinduism*, 31-32.
[98] Ibid, 30.
[99] Klostermaier, *A Short Introduction Hinduism*, 9.
[100] Flood, *An Introduction to Hinduism*, 32-35.

التقشف العالي والتقشف السافل

يتحدث هذا العنوان عن نظام تقشفي نشأ في المناخ المحلي الهندي، يحاكي نمطا تقشفيا بدائيا خلاف شعيرة تقشفية مرتّبة ومجدولة تمثل أحد "آشراما" مراحل حياة أتباع الديانة البراهمانية.والأولى منها ـ العازب، والثانية ـ رب المنزل، الثالثة ـ اللاجئ المتقشف إلى الغابة والمتفرغ للرغبة عن متاع الحياة الدنيا، والرابعة ـ الراهب[101].

وينقسم التقشف أو الزهد إلى الشكلين:العالي والسافل[102].ويعود أصل الأخير إلى الرهبة المنبوذين الذين استقروا بجوار منصة إحراق الجثث وصدرت عنهم أدبيات "تانترا" وهي قائمة على إرشادات التجربة الدينية البشرية خلاف الوحي البراهماني "ويدا" [103]، وتأثرت بها الديانات السيفية والوايشناوية والشاكتية.وتعدها البراهمانية مبتدعة[104] وتتبع حتى الآن التقشف العالي للطبقات العالية التي يتميزعضوها باللجوء إلى الغابات باسم "وانا فيراسادا" في آخر مراحل حياته[105].وذلك صادر عنفكرة رب البيت والحياة الاجتماعيةالمعزوّة إلى الطبقات الراقية كما هو وارد في "باكاوات كيتا"، لا عن انعزال كلي عن المجتمع والحياة فيه تزاوله طوائف تقشفية تعسفية تلازم المقابر معرضة عن الواجبات تجاه العائلة والمجتمع والدولة[106].

ويعرض مسلك طوائف السيفية حقيقة التقشف الداني، ومن بينها فئة "ناكا" التي يعيش أعضاءها عراة وتتلطخ أجسادهم بالرماد.وفرقة "أكوري" يسكن أفرادها بجوار منصات إحراق الجثث.وتذكر التقارير أنهم أحيانا يأكلون أشلاءها[107]. وجماعة "فاسوفاتا" يريد أعضاءها التخلص من الأنانية والتحرر من المكانة والرفعة

[101] Mees, *Dharma and Society*, 74-75.
[102] Flood, *An Introduction to Hinduism*, 148.
[103] Ibid, 161.
[104] Ibid, 158-159.
[105] Mees, *Dharma and Society*, 74.
[106] Flood, *An Introduction to Hinduism*, 148.
[107] Klostermaier, *A Short Introduction Hinduism*, 73.

الاجتماعيتين[108]، ويعتقدون بأنه يمكن تحقيقه بالرقص والضحك المفْرطين كمجنون في أماكن عامة مثل السوق، وبالجؤار مثل جؤار الثيران ويقومون أمام المتدينين الهندوس بتصرفات قبيحة يشتغل بها الأغبياء، ويزعجونهم ويكتسبون سخرية منهم، إيمانا منهم بأنها تقضي على الخيلاء والكبرياء[109].وفرقة "كالاموكا" السيفية تتمذهب بست وسائل من أجل تحقيق أي رغبة متعلقة بالدنيا والآخرة، ومنها الأولى ـ تناول الطعام في الجُمجمة، والثانية ـ تلطيخ الأجسام بالرماد الذي يبقى بعد إحراق جثامين الموتى في المقبرة، والثالثة ـ أكل هذه الأرمدة التي تتخلف من إحراق الجثث، والرابعة ـ حمل عصا غليظة، والخامسة ـ الاحتفاظ بجرة خمر صغيرة، والسادسة ـ عبادة أتباعها الإله وهم جالسون[110].

ومن صور التقشف الداني المنسوب إلى فرقة "كريشنا" الوايشناوية، تصرفات مثل الرجل الذي مسه الشيطان أو الذي أصابه السكر الروحي[111]، وميل "ساهاجيا" الوايشناوية إلى فكرة الاتحاد عن طريق الاتصال الجنسي، وهذا تأويل حرفي منحط لعلاقة العشق الإلهي بين الإله "كريشنا" وحبيبته الإلهة "رادا"[112].وينضاف إلى التقشف السافل التقدمة بشعائر الدم القاسية[113] إلى الإلهة "شاكتي"، وحرص الديانة الشاكتية على أضحية الأنعام التي يؤمن أتباعها بأنها تُشبع رغبة الإلهة "شاكتي" فترة قصيرة علاوة على القربان البشري الذي يرضييها آلافا من السنين[114].

---

[108] Jayaram V, Pasupatha Saivism, WWW.Saivism.net/sects/pasupatha/pasupatha.asp, Accessed on 15-10-2020.
[109] Stutley, *Hinduism Eternal law: An Introduction to the Literature, Cosmology and Cults of Hindu Religion*, 111.
[110] Ramakrishna Gopal Bhandarkar, *Vaisnavism and Saivism and Minor Religious Systems*, (Madras Asian Educational Services,1995), 181.
[111] Flood, *An Introduction to Hinduism*, 139.
[112] Ibid, 140.
[113] Stutley, *Hinduism Eternal law: An Introduction to the Literature, Cosmology and Cults of Hindu Religion*, 122.
[114] Klostermaier, *A Short Introduction Hinduism*, 80.

ولم تنخرط البراهمانية في صفوف مزاولي شعائر التقشف الوضيع وأبعدت نفسها عن هؤلاء المنهمكين في التقاليد البدائية التي تثبت وجود ديانات الشعائر السافلة، ولا تنسجم مع البراهمانية أو تصور الهندوسية الواحدة القائمة على العقائد البراهمانية.

اختلاف في مفهوم دارما

تنأى طائفة "راماناندا" (1400-1476م) التي تعبد "راما" بطل ملحمة "رامايانا" المقدسة الهندوسية بنفسها عن اتجاه "جايميني" (من مواليد القرن الرابع قبل الميلاد) المعبر عن القانون الطبيعي ـ العمود اللاهوتي الفقري للديانة البرهمانية[115].وتؤول هذه الجماعة المتأخرة "دارما" تأويلا نوعيا يختص بإلهها "راما"، وهو تجسد من تجسدات الإله الأعلى "ويشنو"؛ فيعني لديها المصطلح "دارما" الاقتداء بأسوة "راما" الحسنة كابن بار وزوج وفي ومحارب مستقيم أدى واجبه المنشود، منتميا إلى طبقة "كاشتيريا" الثانية، وكحاكم صالح يركز على خدمة الرعية[116].ويُظهر هنا هجر مدلول "دارما" أصلَ اللاهوت المنافح عن البراهمانية تعزيز منحى ديني آخر يبني ديانة مختلفة قائمة بنفسها وابتعادا عن الاستناد إلى الديانة التقليدية السائدة.

الانسلاخ عن الديانة التقليديةوالشريعة المنظمة البراهمانيتين

ليس مما يُسوّغ أن يُضمره الباحثون أن طوائف "باكتي" الحب الإلهي السيفية والوايشناوية التي نشأت في جنوب الهند تؤكد على عدم ضرورة اتباع الدين ذي أركان العقيدة والشريعة المنظمة؛ لأنها تكتفي بالتجربة الشخصية لمؤسس كل طائفة، وتعدها مرجعية عليا.وتنكر العبادة النظامية وأشكال "يوكا" الرسمية واللاهوت الديني الممنهج مما

[115] Margret and Stutley, *A Dictionary of Hinduism, Its Mythology*, Folklore and Development 1500 BC-!500AD, -76.
[116] Flood, *An Introduction to Hinduism*, 108-109.

يدل على تجرد كامل عن الديانة الرسمية البراهمانية[117].وألغت فئة "راما ناندا"الوايشناوي شرط كون عضوها منسوبا إلى الطبقات السامية للالتحاق بصفوفها؛ ففتح هذا التساهل باب تمتع الطبقة السافلة بانتماء كامل إليها[118].ولا تدور الشريعة البراهمانية إلا حول عدم التمازج بين الطبقات. وانتزع عن مهمة ضرورة تنفيذ قطب الرحى البراهمانيالتشريعي هذا حتى زعيم اللاهوت الوايشناوي "راما نوجا" مما حط من قيمة وقدر الديانة الواحدة البراهمانية[119].

أما جماعة "ناتا"، فتعير التجربة الشخصية الباطنية اهتماما بالغا، ولا تبالي بالشعائر الظاهرية[120]، وتنسلخ من النواميس والشريعة البراهمانية الهندوسية التي تشمل على الطبقات والطهارة الشعائرية.وأنكرت أيضا العبادة التي تقام في المعابد الهندوسية علاوة على هجر عبادة صور مؤسسي ديانتهم وأوليائهم [121].

وقد عزلت هذه الطائفة أيضا نفسها عن لب محتويات الديانة الهندوسية، ولا يمكن أن تنضوي تحت ديانة الآريين الطبقية، كونها مستقلة ومنفصلة عن الأحكام الفقهية البراهمانية.وذلك افتراق بيّن مما يضعف شأن الديانة الواحدة.

د ـ عوامل اجتماعية للخروج من الديانة الأصلية

إن هناك أسباب اجتماعية تخالف فكرة الديانة الواحدة الهندوسية، وهي قائمة حتى الآن تجسد تباين الفئات الدينية في الهند.ويتسبب توزيع الهنود على مناطق مختلفة في العالم في ظهور عوامل اجتماعية تنشأ عن احتكاكهم بالمجتمعات الأخرى، إضافة إلى بواعث قديمة تستمر حاليا أيضا وتلمح إلى عدم توافق شعوب الهند على

[117] Ibid., 131.
[118] Margaret Stutley, *Hinduism Eternal law: An Introduction to the Literature, Cosmology and Cults of Hindu Religion*, 99.
[119] Flood, *An Introduction to Hinduism*, 136.
[120] Ibid, 144.
[121] *The World's Religions: The Religions of Asia*, (London, Routledge,1990), 90.

إيجاد ديانة واحدةتحتضن شرائحها بأجمعها.

استمرار الصراع الآري والدراويدي

ويعتبر الدراويديون الناطقون باللغة التاميلية أنفسهم ملحدين لأنهم منكرو الهندوسية الموروثة عن البراهمانية[122]التي تأسست على استعبادهم باسم الطبقة الدانية "شودرا" وهي قوم مهزوم في القتال ضد الجنود الآريين[123]، وسُحب هذا اللقب المخزي واستُبدل بالاسم القومي"دراويدا" في "تاميل نادو" في آخر فترات الاستعمار البريطاني.ويتجلى هنا أن انعزال الدراويديين عن الاستظلال بمظلة الهندوسية ديانة الآريين يستبعد استمرار تصور الديانة الواحدة.

وتنتقد الديانة البراهمانية نفسها قائلة بأنها ديانة آرية أصيلة ذات عبادة المظاهر الطبيعية، فسدت بانتحال أفكار دخيلة فيها من ديانات التصوف أو الحب الإلهي العاطفي لأعدائها الدراويديين[124].

تفوق عامل العرق على الدين

نظرية "هندو توا" الآرية مما يعزز انهيار نظرية الديانة الواحدة وعجز دورها الفعال عن توحيد شعوب الهند ذات عروق متعددة وأفكار دينية متفرقة، ويرسخ صعود تصور بديل منها إلى الساحة السياسية في سعي جاهد إلى منح فكر سياسي مظلي يحتمل أن يجمع مواطني الهند بأجمعهم. ويمثل مصطلح "هندوتوا" تاريخ أربعين قرنا[125] ويحمل أرضا أبوية واحدة وحضارة مشتركة وثقافة مشتركة وأبطالا مشتركين وتاريخا مشتركا، ويساوي فوق هذه العناصر كلها إرادة مشتركة تكفل ببقاء الهندوس بلادا موحدة[126].وأما الديانة الهندوسية فتختلف عن "هندوتوا"

[122] Marguerite Ross Barnett, *The Politics of Cultural Nationalism in South India*, (New Jersey, Princeton University Press.2015), 32.
[123] Radhakrishnan, *Indian Philosophy*, vol:1, 112.
[124] Flood, *An Introduction to Hinduism*, 32.
[125] Savarkar, *Hindutva: Who is Hindu?* 03.
[126] Ibid, xi.

وتكون جزء من عناصره؛ فتغيب مهمة الدين عن صياغة الرؤية الكونية الهندوسية وتنمحي هيمنته على كافة جوانب الحياة ويضعف حضوره ونفوذه أمام التفوق العرقي[127].

ديانات الدمج

عبر عن طابع إشكالية ظاهرة دينية مخلوطة عن الدمج وهو من خصائص الفكر الديني الهندي أبو الريحان البيروني تعبيرا لامثيل له، قائلا بأن "أكثر أديان ومذاهب الهند هو مسطور في الكتب منحول وبعضها عن بعض منقول وملقوط ومخلوط غير مهذب على رأيهم ولا مشذّب"[128].ويشير لفظ "ملقوط" إلى عدم وجود من يدعي بملكية فكر ديني هندي.وتلمح كلمة "غير مشذب" إلى مفهوم غير منتظم.

ومن أمثلة ديانات التمازج بين العقائد المتباينة سيفية كشمير التي تنبثق عقيدتها عن الدمج بين "أتوايدا ويدانتا" وسامكايا" و"فانجاراترا"[129].ومنها مدرسة ما ركّبه "ويجينانا بيكشو" (القرن 17م) من الخلط بين "يوكا" وسامكايا" وأتوايدا ويدانتا"[130]. ومن نماذج أخرى ما دعا إليه المصلح الهندوسي المحدث "ويواكاناندا" من إيجاد ديانة تجمع بين جسد أو قالب الإسلام ومخ أو قلب "أتوايدا ويدانتا" وتدعى ب"نيو ويدانتا"[131].ومنها ما شكله "رام موهان روي" (1772-1833م) من حركة دينية يطلق عليها ب"براهمو ساماج"، وتوفق بين "أتوايدا ويدانتا" وومدرسة التأليه الطبيعي Deism والفكر الوحدوي Unitarianism والإسلام. وتقل فرص العصر الراهن أن تظل الهندوسية واحدة نظرا لتعرضها العفوي لوقائع دمج داخلي وأحداث تأثير خارجي.

---

[127] Ibid, 03.

[128] البيروني, تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، 4.

[129] Stutely, *Hinduism Eternal law: An Introduction to the Literature, Cosmology and Cults of Hindu Religion*, 133.

[130] Nicholson, *Unifying Hinduism Philosophy and Identity in Intellectual History*, 4.

[131] Sharma, *A Restatement of Religion: Swami Vivekananda and the Making of Hindu Nationalism*, 248.

مشاركة التعددية الدينية وأثرها على أتباع الهندوسية في الخارج

يعبر هذا الموضوع عن مجتمع حر يمزج واقعه المتقلب والدا مسيحيا بأم بوذية أو والدا يهوديا بأم مسيحية أو والدا هندوسيا بأم مسيحية أو والدا متدينا بأم علمانية[132]، وتكتظ شمال أمريكا وأوربا بأسر هذا النوع؛ فلا شك أن علاقات هذا المجتمع الذي يبدو ظاهرة دينية جديدة مع الآخرين تختلف عن ما هي عادية معهود بها في البيئة الدينية المحافظة[133].

يمكن أن تؤدي هذه الظاهرة الاجتماعية الجديدة إلى زوال الهندوسية الخالصة في المهجر حال تنازل الهندوس عنها واختلاطهم بغيرهم من أتباع الديانات الأخرى عن طريق التزاوج. ومن المستحيل أن يتربى الأولاد المنحدرون عن هذه الأسر المختلطة دينيا متدينين خلصا يمثلون أصل دين والده أو أصل دين أمه.وهم ينتمون إلى ديانة جديدة تتميز بالاختلاط بين الدينين المختلفين.

المنبوذون والتحول الديني

لا يسمح للمنبوذون Asprasya "أسفيراسيا" الذين أعلنوا عن نأي أعضائهم بأنفسهم عن الهندوسية بالتمتع باستخدام التسهيلات والمرافق المشتركة مثل البئر العام في القرية، ويلزمه العيش خارج القرية أو المدينة[134] بوسخه الفطري وطبيعته النجسة.[135] وتجدر الإشارة هنا إلى واقعتين ذائعتي الصيت سجلتتا مغادرة المنبوذين الديانة الهندوسية فضلا عن تغير الأفراد منهم إلى الديانات الأخرى.ومثلت الأولى منهمااجتماعا حاشدا في "ناكفور" بإقليم "ماهاراشترا" الهندي يوم 14 من أكتوبر عام 1956م، أعلن فيه قرابة نصف مليون منبوذا عن الخروج من الهندوسية

[132] Ibid,119.
[133] Forward, *Inter-Religious Dialogue A Short Introduction*, 125.
[134] Klostermaier, A Concise Encyclopedia of Hinduism,28.
[135] Flood, *An Introduction to Hinduism*, 61.

وأشهروا تحولهم إلى البوذية برئاسة زعيمهم العظيم "بيم راو رامجي أمبيدكار" (1891-1956م)[136].ونجح "أمبيدكار" قبل موته في اليوم السادس من شهر دسمبر 1956م إخراج ثلاثة ملايين من المنبوذين من الهندوسية إلى البوذية.[137] وكشف الحدث الثاني عن تحول مائة وثمانين عائلة من منبوذي "ميناكشي فورام" في إقليم "تاميل نادو" إلى الإسلام في فبراير عام 1981م.[138] هروبا من إساءات واضطهادات الطبقات الراقية الهندوسية[139].

الخاتمة

ليس من الخطأ المنهجي أن لا تنجم نظرة الديانة الواحدة عن دراسات قديمة للطوائف الدينية الهندية أجراها المسلمون؛ لأنها تعكس أعمالا بحثية ميدانية قابلت واقعا دينيا، أصله التباين.ولم تنطمس هذه الميزة حتى الآنما دامت هذه الجماعات الدينية متشبثة بطابع الاختلاف والتضاد بينها.ومن المشهود أن يغلب العنصر العرقي على عامل الدين حال عدم قدرته على توحيد شعوب الهند وعجزه عن احتواءالدراويديينوالمنبوذين داخل قالب ديني موحد وقد نأوا بأنفسهم عن الانتماء الهندوسي.ولا تقوى كذلك "الهندوسية" المصطلح الأوروبي الإداري الذي تطور فيما بعد إلى مصطلح ديني على تكييف قاعدة عريضةجامعة تضم كافة أعراق الهند.ولا يعكس تمثيلا واقعيا لما قد انحدرت إليه الشعوب الهندية من تضارب ديني لم يشهد التاريخ ضده.ولم ينجح هذا المصطلح أن يصوغ وضعا دينيا متفقا عليه ساد ولا يظل يسودجميع أرجاء الهند.

[136] Eeianor Zelliot, *Psychological Dimension of the Buddhist Movement in India: Religious Conversion and Revival Movements in South Asia in Medieval and Modern times*, p. 199.
[137] Klostermeir, *A Survey of Hinduism*, p. 327.
[138] Mumtaz Ali Khan, *Mass Conversion of Meenak shipuram A Sociological Inquiry: Religious Conversion and Revival Movements in South Asia in Medieval and Modern times*, p. 48.
[139] Ibid, p. 51.

يتسبب عامل التراخي والمرونةفي افتراق الكيان الديني إلى فرق متعددة.ويحتمل أن يعود أصل التعدد الديني إلى أسباب كثيرة: منها كثرة نصوص "ويدا" المتشابهة التي تقبل تفاسير عديدة، وعدم وجود ضوابط تأويل النصوص الذي يؤدي إلى تدفق تيارات دينية منشقة، وغياب اللغة الدينية الأصلية، وظهور نصوص متنافسة ومضادة لأسفار"ويدا"، وثقافات أهلية نوعية إقليمية للشعوب الهندية لا تستسيغ ولو ديانة وافدة من إقليم آخر، ودوام العداوة التاريخية، والتأثير البيئي الذي لا يسمح استمرار وجود ديانة غير معتادة في محيطه، وتأثير الديانات الأجنبية الأخرى، وغلبة التصور التعددي الآلهة، والتعصب المفرط للغة، والتعصب العنصري للقوم، وردود فعل إصلاحية لتحسن أوضاع لديانات عالمية تفجر قوالب دينية تحاكي ديانات أخرى، واظطهادات ممنهجة تبعد مجتمعات عن انتماء الدين الأصلي، وتعصب الملوك الطائفي الذي أسهم في التباعد بين الجماعات الدينية، والهجرة خارج الهند والتأثر بديانات بلدان الهجرة، والتزاوج بين أتباع الأديان المختلفة، والتحول الديني والمزج بين الأديان المتعددة،والتجربة الدينية الخاصة للمعلم.

ويجمل بهذا المقام ذكر ما رسمه كُلاس كي.كلاستار مايار" من صورة واقعية لديانات الهند، قائلا بأن ما يوصف بالهندوسية نتاج تطورات كثيرة وصناعة الانشقاق أحيانا والاندماج أحيانا بين جماعات دينية متعددة.ويكون نتيجة هذه العملية ظهور ديانة تعرض خصائص الاختلافات والتناقضات. وإن ما يدعى باسم الهندوسية في الأغلب الأعم أسرة للأديان.وهذا الوصف أنسب وأليق من أن يطلق عليه بتسمية دين واحد.وتكون ميزة الاختلافات داخل هذه الأسرة أقوى منها للتشابهات[140].

[140] Klostermaier, *A Short Introduction Hinduism*, p-7.

التوصيات

1- يجب على الدارسين التنبه لتصور الديانة الواحدة باسم الهندوسية، ولا يعدو أن يكون مدلولها منصرفا عن الواقع الديني المتباين في الهند.

2- من المطلوب أن يخرج الباحثون من المألوف الذي عهده الكثير بالنظر إلى الهندوسية مظلة دينية توحد ديانات الهند؛ ذلك يقود إلى استنتاجات غير صحيحة.

3- يلزم علماء مقارنة الأديان التركيز على كل ديانة هندية النشأة على حدة والاعتناء بكل طائفة منها اعتناء خاصا.

4- ينبغي أن تلفتنظر الباحث مساهمات بحثية تمثل تطورات ديانات الهند في فترة زمنية معينة مثل أعمال البيروني لإطلاع الآخرين على الاختلافات التي قد طرأت عليها في العصر الحاضر.

5- من الأولبهذه الكيانات الدينية أن تدعى بديانات الهند دون تسميتها بالهندوسية.

6- من المرجو أن يتم تدريس كل منها كديانة مستقلة مثل السيفية أو الوايشناوية.

Bibliography

1. Flood. Gavin (Ed), *The Blackwell Companion to Hinduism*, Malden, Blackwell Publishing,2003.
2. Sweetman, Will, *Hinduism" And the History Of Religion: Protestant Presuppositions In The Critique Of The Concept Of Hinduism*, Journal of the North American Association for the Study of Religion, 15 no. 4 (2003).
3. Radhakrishnan's (Tr), *The Brahma Sutra the Philosophy of Spiritual Life*, London, George Allen & Unwin Ltd,1960.
4. Williams, Monier, Brahmanism *and Hinduism; or Religious Thought and Life in India*, New Delhi, Cosmo publications,2004.

5. Rangaswami, Sudhakshina, *The Roots of Vedanta*, Haryana, Penguin Books,2012.
6. Mubed, Zulfaqar, *Hinduism: During the Mughal India of the 17th Century*,Patna,Khuda Bakhsh Oriental Public Library,1998.
7. Flood, Gavin, *An Introduction to Hinduism*, Cambridge, Cambridge University Press,1999.
8. Klostermaier, Klaus K, *A Survey of Hinduism*, New Delhi, Munshi Ram Manohar Lal Publisher Pvt.Ltd,1993.
9. Klostermaier, Klaus K, *A Short Introduction Hinduism*, Oxford, Oneworld,2002.
10. Nicholson, Andrew J, *Unifying Hinduism Philosophy and Identity in Intellectual History*, (Ranikhet, permanent Black,2011
11. Sen, K. M, *Hinduism*, Middlesex, Penguin Books Ltd,1970.
12. Williams, Paul, *Mahayana Buddhism: The Doctrinal Foundations*, London, Routledge, 2009.
13. Stutely, Margarret, *Hinduism Eternal law: An Introduction to the Literature, Cosmology and Cults of Hindu Religion*, Wellingborough, The Aquarian Press,1985.
14. Klostermaier, Klaus K, *A Concise Encylopedia of Hinduism*, Oxford, Oneworld, 2003.
15. Stutley, Margret and James, *A Dictionary of Hinduism, Its Mythology, Folklore and Development 1500 BC-1500AD*, London, Routledge &Kegan paul,1977.
16. Urban, Hugh B, *The Power of Tantra Religion, Sexuality and the politics of South Asian Studies*, London, I.B. Tauris, 2011.
17. Rao, Jagannatha, *Essence of Hindu Religion and Philosophy*, New Delhi, Viva Books,2015.
18. Sharma, Jotirmaya, *A Restatement of Religion: Swami Vivekananda and the Making of Hindu Nationalism*, New Haven, Yale University Press,2013.

19. Radhakrishnan, S, *Indian Philosophy*, London: George Allen & Unwin Ltd,1977
20. Flood, Gavin, *The Tantric Body: The Secret Tradition of Hindu Religion*, London, I.B. Tauris,2006.
21. Duessen, Paul, (Tr): Charles Johnston, *The System of Vedanta*, Chicago, The Open Court Publishing Company,1912.
22. Hiriyanna, M, *Essential of Indian Philosophy*, London, George Allen & Unwin Ltd,1985.
23. Mees, Gualtherus H, *Dharma and Society*, Hague, N.V. Service,1935.
24. Keith, A. Barriedale, *The Karma Mimamsa*, Culcatta, Association Press,1921.
25. Coward, Harold, *A Short Introduction Sin and Salvation in the World religions*, Oxford, one World,2007.
26. Bhandarkar, Ramakrishna Gopal, *Vaisnavism and Saivism and Minor Religious Systems*, Madras, Asian EducationalServices,1995.
27. *The World's Religions: The Religions of Asia*, London, Routledge,1990.
28. Barnett, Marguerite Ross, *The Politics of Cultural Nationalism in South India*, New Jersey, Princeton University Press.2015.
29. Savarkar, V.D. *Hindtva: Who is Hindu?* Bombay, M/S Bhave (P)Ltd,1969.
30. Irfan, *Hindutva and Indian Democracy: Current Domestic Policy Challenges and Prospects in South Asia*, Islamabad, Institute of Regional Studies,2003.
31. Forward, Martin, *Inter-Religious Dialogue A Short Introduction*, Oxford, One World,2001.
32. Oddie, G.A (Ed), *Religious Conversion and Revival Movements in South Asia in Medieval and Modern times*, New Delhi, Manohar Publication,1991.
33. www.Saivism.net
34. www.researchgate.net
35. www.justice.gov/sites

36. البيروني، أبو الريحان، *تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة*،حيدراباد،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،1958م.

37. الشهرستاني، أبوالفتح محمد،*الملل والنحل*،بيروت،دار الفكر،2002م.